الفصل الثالث

اهتمام العباسيين بأنساب آل البيت

لقد كان الخلفاء العباسيون أول من اهتم بتدوين وحصر أنساب آل البيت، وحياطتها من أن يدخل فيها الدخلاء والطامعون، وخاصة بعد أن شاع انتحال النسب لآل البيت وعلى وجه الخصوص الانتساب للفرع العلوي وذلك من العديد من الأشخاص بل والجماعات مثل (العبيديين - الفاطميين) بمصر، وصاحب (الزنج) في البصرة(١)، وغيرهم لتحقيق مطامع سياسية ومادية من خلال ذلك، الأمر الذي دفع الخلفاء العباسيين إلى المبادرة باستحداث (نقابة الأشراف)(٢) وجعلوها من المؤسسات الدينية المهمة وكان ذلك في القرن الثاني الهجري، وكان يولى على هذا المنصب الثقات من مشيخة بني العباس، ويطلق على القائم عليها (نقيب الأشراف)، ويناط بمهام النقيب حصر أنساب آل البيت وأسمائهم وقيدها في سجلات، والنقيب في قيده للأشراف يمكن من تنفيذ الأمر الشرعي الذي يحرم الصدقة على آل البيت في ذات الوقت الذي يكفل لهم حقوقهم العامة في سهم ذي القربى، وفي الفيء، والغنيمة(٣)، ومهام أخرى سيأتي ذكرها، وقد كانت النقابة خاصة فقط بالعباسيين، وفي أواخر القرن الرابع في عهد أمير

---

(١) صاحب الزنج: لا يعرف الطالبيون له نسباً ولا رحماً، وهو الذي عرف عند المؤرخين (بدعي آل علي) وكذلك الخبيث، زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأصله من عبد القيس من ربيعة، ثار على البصرة بمساعدة العبيد الزنج وقتل من المسلمين ما لا يحصى فحاربه العباسيون بقيادة الأمير أحمد طلحة الموفق بالله العباسي الذي قضى على حركته وتمكن من قتل الخبيث، وبتروا اتباعه بعد حروب دامية استمرت أربع عشرة سنة، ومن أراد المزيد من الاطلاع على أمر هذا الخبيث فلينظر عنه في البداية والنهاية لابن كثير، ج١١، ص: ٤٠، وما بعدها.

(٢) سلسلة وثائق الإسلام - الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة، ودار المعارف الإسلامية: ص٥٣٠.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ص٥٣٠-٥٣١، والماوردي: ص٩٦-٩٩).

المؤمنين عبد الكريم الخليفة الطائع للعصر العباسي (٣٦٤-٣٨١هـ) أوجدت الدولة نقابة خاصة بالطالبيين[١]، بأمر الخليفة العباسي لذات الغرض في محاولة لإرضاء العلويين[٢]، وذلك لأسباب طرأت على الساحة السياسية، وعهدوا برئاسة هذا المنصب الرفيع إلى أحد العلويين كما سنبين في بعض (مراسيم) التقليد الخاصة بهذا الشأن لاحقاً، وهذا يعني أنه في هذه الحقبة أي منذ تولي الطائع الخلافة للفترة (٣٦٤-٣٨١هـ) في أواخر القرن الرابع الهجري، بدأ يظهر نوع من التقارب بين الأسرة الهاشمية العباسية والطالبية، وأعني بذلك إظهار حق القربى والنسب، ومحاولة رأب الصدع الذي كان قد نشأ فيما بين الأسرتين بسبب الخلاف العقائدي فيما بينهما وقضية أحقية الخلافة، وقد كان هذا التقارب له أسبابه الحتمية.

وبذلك فلم يعد منصب النقابة يقتصر على الفرع العباسي من آل البيت إذ أصبح هناك نقابة للعباسيين، وأخرى للطالبيين، وفي بعض الأحيان نجد الدمج بين النقابتين في تقليد بعض النقباء بمعنى أن يكون نقيباً للعباسيين والطالبيين، وذلك في العصور العباسية المتأخرة إذ أصبحت النقابة شبه وزارة أضيف إليها مهام الحج بالناس والأوقاف والإشراف على المساجد مما يعطي فكرة واضحة عن تطور هذا المنصب وحجم مهامه، كما ويتضح من خلال مراسيم تعيين النقيب من قبل الخليفة العباسي، ماهية الواجبات والمهام التي تناط بالنقيب وما يجب أن يقوم به من أعمال، فالخليفة في إصداره المرسوم التقليدي للنقيب، يفتتح مرسومه لابذكر الصلة النسبية الموجودة بين الخليفة وبين النقيب سواء كان النقيب عباسيًّا أو طالبياً، ويذكر بأنه اختاره في هذا المنصب الهام، لأنه وجده متحليًّا بالصفات الحميدة، وله المواقف الجيدة في خدمة الدولة والدعوة العباسية، والخليفة إذ يفعل ذلك إنما يهدف لرفعة شأنه ومكافأته على ما عرف عنه من فضل، وحسن اعتقاد وديانة، وإجراء الأمور في نصابها، وإن كان النقيب المعين قد سبقه والده في المنصب، فيذكر بما كان عليه سلفه من خدمة للدولة وقيم وفضل وموالاة للخلافة[٣]، ثم بعد ذلك يبدأ توصياته له التي هي بيان واجبات شاغل هذا المنصب وأولها هو تقوى الله تعالى ومراقبته بالسر والعلن، ثم المواظبة على تلاوة القرآن الكريم، إذا إن ذلك يساعده في إيجاد حلول للمشكلات التي تعرض عليه، بجانب الفوائد الأخرى من ذلك، ومن ثم يعرض لناحية هامة هي طلبه منه أن يضبط نفسه، وأن ينزهها عن الشبهات، ويحكم عقله في الأمور كلها، ولا يجعل غضبه يسيطر عليه.. وهذه نصيحة

---

(١) سلسلة وثائق الإسلام، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتابعة: ص٣٤، تأليف الدكتور محمد ماهر حمادة.

(٢) المرجع السابق: ص٣٤.

(٣) سلسلة وثائق الإسلام: ج٣، الوثائق السياسية والإدارية للعصور العباسية المتابعة، ص: ٣٥.

جيدة حبذا لو اتبعها كل إنسان وخاصة من بيده الحل والعقد وبعد أن يفرغ من وعظه في سلوكه وأخلاقه يبين له واجباته تجاه من عهد إليه من الإشراف والوقوف على شؤونهم، وأول هذه الواجبات تفقد أحوالهم وتعهد شؤونهم باستمرار، وأن يثيب المحسن ليزداد إحساناً، وأن يعاقب المسيء ليقلع عن إساءته، كما يأمره بإعطاء كل ذي حق حقه من الرعاية والنظر والإحسان والإكرام، ويأمره أيضاً أن يسلك في عقوبة من يستحق العقوبة طريق التدرج لأن الغاية من العقوبة الإصلاح لا الانتقام، ثم ينتقل إلى موضوع مهم بالنسبة للأسرة الهاشمية، وهو النسب، ذلك أن كثيراً من الناس يحبون أن ينتسبوا إلى هذا النسب الشريف وهم ليسوا منه، ولذلك يطلب من النقيب حياطة هذا النسب الأطهر والشرف الأفخر عن أن يدعيه الأدعياء أو يدخل فيه الدخلاء، كما يطلب منه أيضاً أن يكون أباً حانياً وراعيًّا لشؤونهم، وأحوالهم المادية والاجتماعية، ويأمره بمراعاة متبتلي أهل البيت ومتهجديهم وصلحائهم حتى يسد خلتهم ويدر الموارد عليهم، وأن يربي اليتامى منهم، وأن يعلمهم ويجعلهم يقصدون حلقات العلم ليتعلموا القرآن الكريم والفرائض، كما يأمره كذلك بتزويج الأيامى بأكفائهم، وباختصار أن ينظر إليهم كما ينظر رب الأسرة إلى جميع أفراد أسرته ويهتم بأمورهم جميعاً، كما يطلب منه أن يتعاون مع الحاكم في ذلك لا أن يعمل بطريقة معاكسة له.

وكذلك نجد الخليفة يأمر النقيب ويوصيه بتنفيذ العديد من المهمات والأمور التي كانت تناط بمهام النقيب في ذلك الوقت، إضافة إلى كونه مسؤولاً عن رعاية آل البيت مثل الإشراف على الحج، وصيانة المساجد ورعاية الحجاج، وتسهيل سبل الحج للمسلمين، وغيرها من الأمور.

بعض نماذج مراسيم تعيين نقيب الأشراف زمن الخلافة العباسية

مرسوم أمير المؤمنين الخليفة الإمام الطائع لله العباسي بتقليد أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي نقابة الطالبيين والإشراف على المساجد:

هذا ما عهد عبدالله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى محمد ابن الحسين بن موسى العلوي، حين وصلته به الأنساب، وقرنت لديه الأسباب، وظهرت دلائل عقله ولبابته، ووضحت مخايل فضله ونجابته ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر عضد الدولة ما مهد عند أمير المؤمنين من المحل المكين، ووصفه به من الحلم الرزين وأشار به من رفع المنزلة وتقديم الرتبة والتأهيل لولاية الأعمال وتحمل الأعباء والأثقال، وحيث رغبه فيه سابقه الحسين أبوه في الخدمة والنصيحة والمشايعة الصحيحة والمواقف المحمودة والمقامات المشهودة التي طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره، وكان محمد متخلقاً بخلائقه وذاهباً على طرائقه علماً وديانة وورعاً وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة، وتفرداً بالحظ الجزيل من الفضل الجميل والأدب الجزل والتوجه في الإيفاء، والإيفاء في المناقب على لداته وأترابه، والإبرار على قرنائه وأضرابه، فقلده ما كان داخلاً في أعمال أبيه من نقابة نقباء الطالبيين بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار، شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً واختصه بذلك جذباً بطبعه معرفة بقدره وقضاء رحمته وترفيهاً لأبيه.. خلفاً له بإيثاره فيه، ما أمر أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم وتسيير الحجيج في أوان المواسم، والله يعرف أمير المؤمنين الخيرة فيما أمر ودبر، وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

وأمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسيما الصالحين، وعصمة عباد الله أجمعين، وأن يعتقدها سراً وجهراً، ويعتمدها قولاً وفعلاً، فيأخذ بها ويعطي، ويريش ويبري، ويأتي ويذر، ويورد ويصدر، فإنها السبب المتين والمعقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب، والمسلك المفضي إلى دار الثواب، وقد حض الله أولياءه عليها، وهداهم في محكم كتابه إليها فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾.. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾.

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظباً، وتصفحه مداوماً ملازماً والرجوع إلى أحكامه فيما أحل وحرم، ونقض وأبرم، وأثاب وعاقب وباعد وقارب، فقد صحح الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه ومحجته، وجعله فجراً في الظلمات طالعاً ونوراً في المشكلات ساطعاً، فمن أخذ به نجا وسلم ومن عدل عنه هلك وهوى وندم، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .. وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات وتتطلع إليه النزوات، وأن يضبطها ضبط الحكيم، ويكفها كف الحليم ويجعل عقله سلطاناً عليه، وتمييزه ناهياً لها، فلا يجعل لها عذراً إلى صبوة ولا هفوة، ولا يطلق منها عناناً عند ثورة ولا فورة، فإنها أمارة بالسوء، منصبة إلى الغي، فالحازم يتهمها عند تحرك وطره وأربه، واهتياج غيظه وغضبه، ولا يدع أن يغضها بالشكيم ويعركها عرك الأديم، ويقودها إلى مصالحها بالخزائم، ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم، كما يعز بتذليلها وتأديبها، ويجل برضاتها وتقويمها، والمفرط في أمره تطمح به إذا طمحت، ويجمح معها، ولا يلبث أن تورده حيث لا صدر، وتلجئه أن يعتذر، وتقيمه مقام النادم الواجم، وتتنكب به سبيل الرشاد المسالم، وأحق من تحلى بالمحاسن وتصدى لاكتساب المحامد، ومن ضرب بمثل سهمه من نسب أمير المؤمنين الشريف، ومنصبه المنيف، واجتمع معه في ذؤابة العترة الطاهرة، واستظل بأوراق الدوحة الفاخرة، فذاك الذي تتضاعف له المآثر إن آثرها، والمثالب إن أسفّ عليها، ولا سيما من كان مندوباً لسياسة غيره، مرشحاً للتقليد على أهله، إذ ليس يفي بإصلاح من ولّي عليه من لا يفي بإصلاح ما بين جنبيه، وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر ويزدجِر ولا يزدجَر، قال الله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)... وأمره بتصفح أحوال من ولي عليهم واستقراء مذهبهم والبحث عن بواطنهم ودخائلهم، وأن يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزلته، ويوفيه حقه ورتبته، وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم، وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم، فإن ذلك يلزمه لشيئين: أحدهما يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم، والآخر يعمه والمسلمين جميعاً وهو قول الله جل ثناؤه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.. فالمودة لهم، الإعظام لإكبارهم، والإشبال على أصاغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه، ومتأكد اللزوم له، وقد كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا، أو جذعان لم يقرحوا مجرين إلى ما يزري بأنسابهم ويغض من أحسابهم عذلهم ونبههم ونهاهم، ووعظهم، فإن نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم والمقصود إليه فيهم، وإن أصروا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فإن نفع وإلا تجاوزه إلى ما يوجع ويلذع، من غير تطرق لأعراضهم ولا انتهاك لأحسابهم، فإن الغرض منه الصيانة لا الإهانة، والأدالة لا الإذالة، وإذا وجبت عليهم الحقوق أو تعلقت بهم دواعي الخصوم، قادهم الإغضاء بما يصح منها ويجب، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس، ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها بعد أن تثبت الجرائم وتصح، وتبين وتتضح، وتتجرد من الشك والشبهة، وتتجلى من الظن والتهمة، فإن الذي يستحب في حدود الله أن تدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة، وأن تمضي مع قيام الدليل والبينة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وأمره بحياطة هذا النسب الأطهر والشرف الأفخر عن أن يدعيه الأدعياء أو يدخل فيه الدخلاء، ومن انتمى إليه كاذباً وانتحله باطلاً، ولم يوجد له بيت في الشجرة ولا مصداق عند النسابين المهرة أوقع به من العقوبة ما يستحقه ووسمه بما يعلم كذبه وفسقه، وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه، وينزع بها غيره ممن تسول له مثل ذلك نفسه، وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس لها كفؤاً، ولا مشاركها في شرفها وفخرها، وحتى لا يطمع في المرأة الحسيبة النسيبة إلا من كان مثلاً لها مساوياً ونظيراً موازياً، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأمره بمراعاة متبتلي أهله ومتهجديهم وصلحائهم ومجاوريهم وأراملهم وأصاغرهم، حتى يسد الخلة من أحوالهم، ويدر الموارد عليهم، وتتعادل أقساطهم فيما يصل إليه من وجوه أموالهم وأن يزوج الأيامى ويربي اليتامى ويلزمهم المكاتب ليتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان ويتأدبوا بالآداب اللائقة بذوي الأحساب، فإن شرف الأعراق محتاج إلى شرف الأخلاق، ولا حمد لمن شرف نسبه وسخف أدبه، إذا كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعي ولا طلب، ولا اجتهاد ولا دأب، بل بصنع من الله ﷻ له، ومزيد من المنة عليه، وبحسب ذاك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والاعتداد بما فيها من المزية، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفع عن الرذائل والمثالب.

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم، والأخذ للمظلوم من الظالم، وأن يجلس للمترافعين إليه جلوساً عاماً، ويتأمل ظلاماتهم تأملاً تاماً فما كان منها متعلقاً بالحاكم رده إليه، ليحمل الخصوم عليه، وما كان طريقه طريق الغشم والظلم، والتغلب والغصب، قبض عنه اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة، وتحرى في قضاياه أن تكون موافقة للعدل ومجانبة للخذل فإن غايتي الحاكم وصاحب المظالم واحدة، وهي إقامة الحق ونصرته، وإبانته وإثارته، وإنما يختلف سبيلاهما في النظر: إذ الحكم يمل على ما ثبت وظهر، وصاحب المظالم يفحص عما غض واستتر، وليس له مع ذلك أن يرد لحاكم حكومة ولا يعل له قضية لا يتعقب ما ينفذه ويمضيه، ولا يتبع ما يحكم به ويقضيه، والله يهديه يسدده ويوفقه ويرشده.

وأمره أن يسير حجيج بيت الله إلى مقصدهم ويحميهم في بدأتهم وعودتهم، ويرتبهم في مسيرهم ومسلكهم ويرعاهم في ليلهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة، ولا تصل إليهم مضرة، وأن يريحهم في المنازل ويوردهم المناهل ويتناوب بينهم في النهل والعلل، ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء، مجتهداً في الصيانة لهم، ومعذراً في الذب عنهم ومتلوماً على متأخرهم ومتخلفهم،

ومنهضاً لضعيفهم ومهيضهم، فإن حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر الرسول عليه الصلاة والسلام قد هجروا الأوطان وفارقوا الأهل والإخوان، وتجشموا المغارم الثقال، وتعسفوا السهول والجبال، يلبون دعاء الله عز اسمه، ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه، وحقيق على المسلم المؤمن أن يحرسهم متبرعاً ويحوطهم متطوعاً بمن تولى ذلك وضمنه وتقلده واعتنقه، قال الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

وأمره أن يراعي أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأكتافها، وأن يجبي أموال وقوفها ويستقصي جميع حقوقها، وأن يلم شعثها ويسد خللها بما يتحصل من هذه الوجود قبله، حتى لا يتعطل رسم جرى فيها ولا تنقض عادة كانت لها، وأن يثبت اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ويذكر اسمه بعده بأن عمرانها جرى على يديه، وصلاحها أداه قول أمير المؤمنين إلى فعله، فقد فسح له أمير المؤمنين بذلك تنويهاً باسمه وإشادة بذكره، وأن يولي من قبله من حسنت أمانته وظهرت عفته وصيانته فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال: في الأمصار الدانية والبلاد القريبة والبعيدة من يثق به من صلحاء الرجال وذوي الوفاء والاستقلال، وأن يعهد إليهم مثل الذي عهد إليه، ويعتمد عليهم في مثل ما اعتمد عليه، ويستقري مع ذلك آثارهم ويتعرف أخبارهم، فمن وجده محموداً أقره ولم يزله، ومن وجده مذموماً صرفه ولم يمهله، واعتاض منه من ترجى الأمانة عنده، وتكون الثقة معهودة منه، وأن يختار لكتابته وحجبته والتصرف فيما قرب منه وبعد عنه، من يزينه ولا يشينه، وينصح له ولا يغشه ويجمله ولا يهجنه، من الطبقة المعروفة بالظلف المتصونة عن النطف[1]، ويجعل لهم من الأرزاق الكافية والأجرة الوافية ما يصدهم عن المكاسب الذميمة والمآكل الوخيمة، فليس تجب عليهم الحجة إلا مع إعطاء الحاجة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾﴾.

وأمره بأن يكتب لمن يقوم ببينة عنده وتنكشف حجته له، إلى أصحاب المعاون بالشد على يديه وإيصال حقه إليه وحسم الطمع الكاذب فيه، وقبض اليد الظالمة عنه، إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه، والوقوف عند رسمه وحده.

هذا ما عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته لك وعليك، وقد أنار فيه سبيلك وأوضح دليلك، وهداك وأرشدك وجعلك على بينة من أمرك، فاعمل به ولا تخالفه، وانته إليه ولا تتجاوزه وإن

---

(١) النطف: العيب.

عرض لك أمر يعجزك الوفاء به ويشبه عليك وجه الخروج منه أنهيته إلى أمير المؤمنين مبادراً، وكنت إلى ما يأمرك به صائراً، إن شاء الله تعالى، كتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة[١].

مرسوم أمير المؤمنين الخليفة الإمام أبي العباس أحمد القادر بالله العباسي بتقليد المرتضى العلوي منصب نقابة الطالبيين، والحج، والمظالم سنة (٤٠٧هـ):

هذا ما عهد به عبدالله أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى علي بن موسى العلوي حين قربته إليه الأنساب الزكيّة، وقدمته الأسباب القوية، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختص عنده بوسائل الحرمة الأكيدة فقلده الحج والنقابة، وأمره بتقوى الله[٢].

مرسوم الناصر لدين الله العباسي بتقليد محمد بن محمد نقابة الطالبيين في بغداد:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عبدالله وخليفته الإمام المفترض على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى محمد بن محمد بن المختار الهاشمي حيث وجده مرضي الخلائق سوي الطرائق محمود السجايا والشيم، متمسكاً من الديانة بأمتن سبب وأوثق معتصم، سالكاً في الركانة والرصانة لأحب جدد وأقوم لقم، متحليًا من التقى والورع بأحسن لباس وأبهى مدرع، قد فاق بكفايته الأكفاء، وبرع واستشرف إلى محامد الخلاخل ومحاسن الخصال كل مطلع فقلده (نقابة العترة الكريمة العلوية والأسرة الجليلة الطالبية) بمدينة السلام، وسائر بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً، مقدراً فيه الاضطلاع بالأعباء والقيام بحسن الاستخدام والاستكفاء، والنهوض بتأدية حق النعماء والله تعالى يقرن آراء أمير المؤمنين بالتأييد والتوفيق في كل ما ينتحيه للإسلام والمسلمين من المصالح، ويدني له في كل ما يبتغيه من مناظم الدين كل بعيد نازح إنه سميع مجيب، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب

وأمره بتقوى الله تعالى واستشعار مراقبته في سره وعلانيته، فإنهما الفريضة اللازمة والسنة القائمة واللباس الأحسن الأروع والحرز الأحصن الأمنع، وأفضل ما اعتقده المعتقدون ودعا إليه الصالحون ووزن به المرء مراجع لحظه ومخارج لفظه ومسارح خواطره ومطارح نواظره وأوضح سبل الرشاد وميز الزاد ليوم المعاد، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. وقال

---

(١) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة نقلاً عن: صبح الأعشى للقلقشندي: ج١٠، ص٢٥٤-٢٧٤.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ج٧، ص٢٧٦.

سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾... فطوبى لمن سمع قوله فأتبعه وتجلبب لباس مراقبته وأدرعه واقتدى بكتابه فاستخرج كنوز المراشد من عبابه، واقتنى ذخائر ثوابه فتوقى به أليم عقابه أولئك الذين أنعم الله عليهم بالعقائد الصحائح وأثقل وموازين توفيقهم الرواجح وهداهم بما كتب في قلوبهم من الإيمان إلى الجدد الأحب والمنهج الواضح، فعمل في دنياه لأخراه، وقوم بالهدي بالجد في المعاد جدواه أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.

وأمره بأن يتأمل أحوال من فوض أمره من أهل بيته إليه وعول في زعامته من ذوي الرحمة عليه ويعتبر طرائقهم ويختبر شيمهم وخلائقهم، وينزلهم منازلهم التي يستوجبونها بكرم العناصر ويستحقونها بتباين المساعي والمآثر، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

فمن كان منهم رشيد المنهج متنكباً عن الطريق الأعوج، متحليًا من الدين والعلم بما يناسب نسبه ويلائم محتده الكريم ومنصبه، يحق له من الإكرام وخصه من الإنعام والتودد والاحترام بما يرفع منزلته ويحث على اكتساب فضيلته من تأخر عن غلوته، ليشيع فيهم المناقب والفضل، ويسفروا عن المناظر المهيبة في النوادي والمحافل، ويستضيفوا إلى شرف الأبوة فضل النبوة ويتقبلوا آثار من قال الله عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.. فإنهم أغصان تلك الدوحة الشريفة والشجرة المباركة المنيفة.

وأمره أن يعاملهم برفق لا يشينه ضعف، وتهذيب لا يهجنه عنف ممن بدت منه بادرة أو عثرة نادرة أقالها والحق جناح المباشرة وأذيالها من التأنيب بما يجنبه أمثالها، قال تعالى: وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ.. وقال رسول الله ﷺ: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم**» فليس من كانت بادرة زلته ومبتكرة خطيئته كمن كان في الغي منهوكاً وبعرى الإصرار عليه متمسكاً ومن صادفه جاهل بقدره ونابذ مصلحته وراء ظهره وعرف خلوص دخلته وسلامة صدره، إلا أنه عن مصلحة شأنه غافل، وعن حلي العلم الذي هو قيمة المرء عار عاطل أيقظه من هجوع الاعتزاز بالأمل (ونبهه عل أن النسب لا يغني بغير عمل) والنبي ﷺ أوحى إليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.. وقال ﷺ: «يا بني هاشم.. يا بني عبد المطلب: إنني لا أغني عنكم من الله شيئاً، ائتوني بأعمالكم ولا تأتوني بأنسابكم، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، ومن ألفاه منهم ذاهباً في مجاهل الجهال، وسادراً في مهاوي الضلال، ومشايعاً في احتقاب الأوزار، وهاتكاً لأستار التصون والأستار، واجهه خالياً بالتقريع والتقييد، وزجره الإخافة والوعيد، فإن نجح ذلك وأفاد ورجع عن جهالته وعاد، وإلا قوم من ميده واعوجاجه، ووقف به على سبيل الحق ومنهاجه،

وإن قرف أحدهم بجريم أو رمي بجريرة، فلا يعجل عليه بالمؤاخذة ولا يسرع إليه بإجراء المقابلة، بل يثبت إلى أن يقف بالبحث والإيضاح على الحق المحض الصراح، قال الله تعالى: ﴿(٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ فإن اتضح ما قرف منه وزن بسببه نظر فإن كان مما أوجب الله تعالى فيه حداً من الحدود أقامه من غير تعدٍّ على سلكه المحدود فيه ونظامه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾... وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ولا يجرمنه احتقابه الجرائم من نظر اعتنائه، ولا إقامة حد الله فيه من ملاحظته وإرغامه، فهذا النسب الكريم، وإن تفاوتت أحوالهم وتباينت أعمالهم خصوا بالاصطفاء ووسموا بالاجتباء، قال الله تعالى: ﴿(٣٢) ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٞ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٞ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وأمره أن يصرف همته إلى مصالح اليتامى وتخصيصهم من الاعتناء وتخويلهم من الإرعاء بما ينسيهم ذلة اليتم وفقد الآباء، فمن كان منهم غنيًّا فيثمر ماله ويهذب خلاله وينفق عليه بالمعروف لا شطط ولا تبذير، ولا تضييق ولا تقتير فإذا بلغ الرشد سلم ماله موفوراً وأشهد بقبضه عليه. قال الله تعالى:

﴿(٦) وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدٗا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾، ومن كان فقيراً فليثن عنان العناية إلى ما يعود بإصلاح أمره وليصرف همته إلى جبر كسره إلى حين استهوائه وتهذب إنمائه، وليدر عليه من الوقوف بالمعروف وليكن به عطوفاً وله أباً رؤوفاً.

وأمره بوضع أمر الأيامى بعين الاعتبار وتزويجهن من الأضراب والأكفاء وتحصينه بالإحصان، لا بالمنع والنسيان، فإن التناكح مدد الوجود وقوامه وبه يستتب أمره ويتسق نظامه، قال الله تعالى: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ.

وقال رسول الله ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الأمم يوم القيامة**» وليتوخ تطهير عقود نكاحهن من أدران الأرجاس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرٗا﴾.